حول النحت الفرنسى المعاصر

للأستاذ أحمد محمد حسنين

منذ أسابيع قليلة أتيح لنا أن نشاهد معرضا للنحت فى قاعة « الليسيه فرانسيه » تضمن مجموعة غير قليلة من أعمال النحاتين الفرنسيين المحدثين وبعض أعمال طائفة من النحاتين المصريين . والأمر الذى يثير الدهشة حقا هو عدم احتفال معظم نقادنا وكتابنا بالكلام — مجرد الكلام — عن النحت الفرنسى بالرغم من أن فرصة مناسبة قد سنحت للمقارنة بينه وبين النحت المصرى . ونود قبل أن نجرى حديثا عابرا عن النحت الفرنسى المعاصر أن نوجه الشكر إلى معالى الدكتور طه حسين باشا صاحب الفضل الأول فى تهيئة هذا المعرض النادر . ولعلنا فى غير حاجة إلى الكلام عن عراقة فن النحت والتطور الذى أصابه على مر العصور نتيجة للتطور الاقتصادى والاجتماعى الذى عرفته شعوب العالم . ومن المعروف أن المذهب « الكلاسيكى » قد ظل سائدا خلال القرن الثامن عشر ، وأن الثورة الفرنسية قد أثرت فى النحت تأثيرا كبيرا على نحو ما أثرت فى سائر الفنون والآداب وإن المثال الفرنسى « ريد » ليجئ فى مقدمة المثالين الذين استجابوا للأثر العميق الذى أحدثته الثورة فى النفوس . وإنا لنلحظ ذلك — بصفة خاصة — فى تمثاله المعروف « سفر المتطوعين » الذى يجسد بعض شخصيات عصره ويحملها بالرمز لكى يؤكد فكرة مستوحاة من الثورة الفرنسية . ولقد كان القرن التاسع عشر أحفل عصور التاريخ بالنشاط الفنى المتعدد المذاهب والاتجاهات ولئن كانت التماثيل ذات الموضوعات التاريخية قد سيطرت فى ذلك الحين — بدلا من التماثيل ذات المضمون الأسطورى — فليس من شك فى أن حركات التجديد قد ولدت خلال هذه الفترة أيضا . ولقد بذل الكثيرون من النحاتين أمثال «دالو Dalou» و «رودان Auguste Rodin» أعظم مجهود فى سبيل ربط النحت بالحياة ومشاعرها العميقة بدلا من التاريخ وأحداثه العامة ، وإن روح هذا المتجه قد أثرت فى كثير من المثالين وفى مقدمتهم « فريميه Frémiet » و « بورديل Bourdelle » وأخذ عنصر « الحركة » يظهر فى المنحوتات حيث وصل إلى أقصى غايته فى تماثيل وتصاوير المصور المثال « إدجار ديجا Edgar Dega » . وبالرغم من وجود أنصار للمدرسة الفرنسية التقليدية التى تنشد مثاليتها فى الفن الإغريقى بجماله ورقته واتصاله الشديد بالطبيعة ، أو الفن الرومانى بمظهره القوى المترف ، فقد ظلت حركة التجديد مستمرة قوية شديدة الطموح لا تقف عند حد . ومن الصعب أن نحصى أسماء المجددين ونوضح مقومات فنهم ، ولذلك نكتفى الآن بمجرد إشارات سريعة إلى بعض هؤلاء الفنانين .

تمثال من البرنز — دالو

فهناك النحات الرسام فرانسوا إنيان كابتيه (وقد مات حوالى سنة ١٩٠٢) الذى أنتج عدة تماثيل معبرة عن مختلف الأفكار والعواطف والحالات النفسية ونذكر من بينها تماثيل « آدم وحواء » ، والطوفان الأخير ، واليأس » . وهناك المثال

« جوست بيكيت » (وقد مات حوالى سنة ١٩٠٧) الذى نبه ذكره منذ عرض بعض تماثيله فى معرض « الصالون الفرنسى » حوالى سنة ١٨٥٧ ، والذى حاول فى عدة تماثيل أن يستلهم الفن الفرعونى ويزاوج بينه وبين الفن الحديث وذلك بإدخال عنصر الحركة . وأما المثال الشهير « أوجست رودان » فمن الأسماء التى أكدت وجودها فى عالم النحت . فمنذ عرض تمثاله « الأنف المكسور » حوالى سنة ١٨٧٠ أثار عاصفة من الجدل لم تلبث أن اشتدت حين عرض تمثالى « القبلة » و « يد الله » . ولقد وجهت إليه أعنف سهام السخرية وأقسى أحكام النقد ولكنه لم يعبأ بشئ ومضى فى عناد يحقق وجهة نظره فى النحت . كان « رودان » مشغوفا بالتعبير لا بالجمال فحسب ولذلك فقد كان يجسم - وقد يبالغ - عواطف البشر ومشاعرهم وأفكارهم العميقة . وهو بعمله ذاك يصنع « الشخصية » فى النحت . وهى شخصية بطولية إن لم تقم بطولتها على العضلات المفتولة والجسد المتين البناء (على نحو ما نجد فى تماثيل ميكل إنجلو) فقد قامت على تعبير نفسى أو فكرى يرهق الكيان البشرى

تمثال من البرنز — أوجست رودان

وأما المثال « أنطوان بورديل » فقد بدأ حياته الفنية متأثرا بنفوذ أستاذه « فالجيير » ثم لم يلبث أن خرج عليه وثار على الفن « الأكاديمى » . وأخذ يعمل مع المثال « رودان » منذ عام ١٨٩٦ ثم مضى فى النهاية يحقق أسلوبه الشخصى الذى يميل إلى البناء « Construction » وفى نفس الوقت يعطى صورة هندسية لا يحتفظ به المثال من ظلال رومانسية . وهو لم يتخل عن عنصر الحركة وعن كل ما هو « درامى » ولكنه يحقق التوازن فيما يختار من العناصر والقيم الفنية

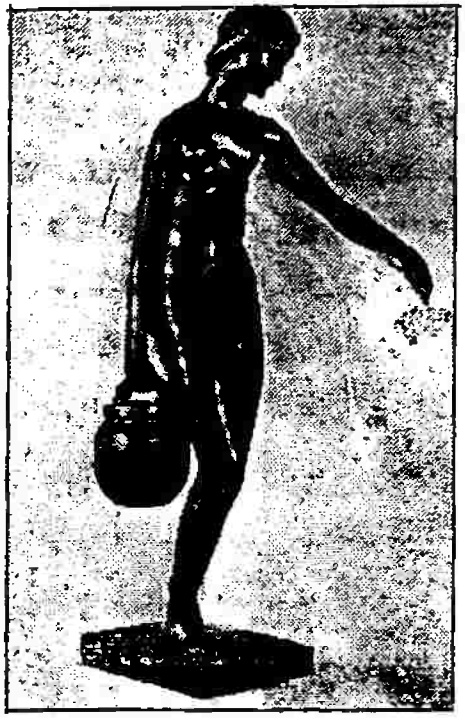

حامل الماء — تمثال من البرنز لبرنار جوزيف

أما « أرستيدل مايول Maillol » أستاذ النحت المعاصر الحقيق - فهو يركز كل مواهبه فى « البناء » على نحو يؤكد الإحساس بعناصر الحياة الأصيلة فى الكون ، وفضلا عن ذلك فهو يثبت قيم النحت الأساسية التى أدركها الفراعنة والإغريق . لقد استطاع فى براعة أن يضع الحد الفاصل بين القديم والجديد، وأن يمهد السبيل الحقيق للنحت الحديث وساعده على ذلك ميله الشديد « للفورم » النسوى . وإنه ليخضع - كما يقول الأستاذ . أ . هربلان » بتواضع لاحترام قوانين عالم النحت

ونستطيع أن ندرك قيمة التجديد الذى أعلنه القرن العشرون حين نتأمل مجموعة تماثيل الفنانين المعاصرين أمثال جوزيف برنار

و « بومبو Pompon » . والأول قد مارس التشكيل الباشر على نحو جديد شديد التأثر بالاتجاه العصرى . والثانى أكثر جرأة وأقل احتفالا بالقيم الكلاسيكية ، وهو قد ذهب بعيدا منذ أرجع « السلويت » الحيوانى إلى أوضاعه المبسطة فساعده ذلك على الانتقام من التجسيم الأولى إلى التجسيد الهندسى وإلى المناظر التخطيطية . والحق أنه قد اختار الموضوعات المناسبة تماما لأسلوبه القائم على التبسيط . . . . اختار بعض الطيور كالدجاجة والوزة ـ فى أكثر وضعاتها ألفة وأقلها « دراماتيكية »

ولئن كان هؤلاء الذين أشرنا إليهم قد وضعوا أسس التجديد فإن أمثال « زادكين Zakine وليبشيتز Lipchitz ولورا Laurens وجارجالو Gargallo » قد حاولوا الوصول إلى أبعد آماد التجديد . فهم قد نفروا من كل ما هو محسوس وأعرضوا تماما عن الحياة الحسية وآثروا مجال الاطلاق « الفن عقلى بحت » . ويرى « هربلان » أن استعمالهم مختلف الخامات (كالحديد والصلب المضروب والخيوط المدنية) قد سهل عليهم إنتاج ما سماه « بالتركيبات المجانية » (أى التى لا هدف لها) . وإنه ليرى ـ أيضا ـ أن تأثيرات التكعيبية والفن الزنجى مما قد جعلت بعض الفنانين يميلون إلى اعتبار النحت من مسائل « التشكيل البحت »

ومهما يكن الأمر فإن استعمال هذه الخامات الجديدة (فى النحت) قد أظهر هذا النوع من النحت الذى لا يشغل مسافة ثابتة فى الفضاء وإنما يترك الفضاء لينساب من بينه . ويقول هربلان « إن النحت الشفاف الذى نراه عند « ليبشيتز » والأشكال المفرغة عند « زادكين » لا تستبعد الفضائية ولا الروحية ، بل إن تمثال « النبى » القفصى الصنع (لجارجالو) يعتبر من الروائع . ويضيف « ويبدو أن بيكاسو ـ وهو الرسام العجيب ـ قد اختار أن ينسى عبقريته ليقتصر على استثارة ما هو واقعى وممكن الحدوث ، وذلك فى تركيباته اللغزية وبواسطة تفصيل واحد موحى كعين أو خد أو أنف ممسوح أو ساق تخرج على المعقول فى نسبها . . .

ويبقى العقل حائرا أمام هذه البحوث التى لا نجد فيها الحواس حقها المشروع . . . وحتى العقل لا يتقبل النتائج إلا فى شكل إحصاءات وباعتبارها نتائج مرحلية لا آثارا فضلا عن أن تكون آثارا دائمة » وعلى الجملة فإن النحت الفرنسى قد قفز فيما بين ١٩٠٠ — ١٩٥٠ قفزة غير عادية لعل الأدهان « العامة » لم تتهيأ بعد لفهمها . . لقد انتهى عهد النحت النظرى والمطابق للطبيعة وكذلك النحت التشكيلى البحت ، وجاء عهد النحت الذى يطلقون عليه اسم النحت « الموسيقى المتحرك . . ؟ » . ومهما يكن الرأى فى هذا النحت الجديد فهو قد أعطى للفكر فرصة لم تتح له من قبل . ونرجو أن نعود فى فرصة أخرى إلى تفصيل موضح .

أحمد محمد حسنين

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة